

أساليب التغلغل الايطالي السلمي في ولاية طرابلس الغرب (١٨٨١-١٩١١)

الكلمات الدلالية: ايطاليا في ليبيا، التغلغل السلمي

ا.م.د. سمير عبد الرسول العبيدي

الجامعة المستنصرية
مركز المستنصرية للدراسات العربية والدولية
قسم الدراسات التاريخية

**Methods of peaceful Italian penetration in State of Tripoli
West (1881-1911)**

Key Words: Italy in Libya, peaceful penetration

Assistant Professor Dr. Samir Abdul Rasoul Al Obeidi

**Al Mustansiriya University
Al Mustansiriya Center for Arabic and International Studies
Department of Historical Studies**

تمهيد.

منذ أن احتلت فرنسا الجزائر في ١٨٣٠/٧/٥ اشتد التنافس بين فرنسا وبريطانيا في استعمار بلدان الشمال الإفريقي واتجهت سياسة التوسع الاستعماري اتجاهاً أوسع من ذي قبل، في حين كان الايطاليون ينظرون الى هذا التنافس بعين القلق، كما ترسخت الرغبة في نفوسهم في أن يكونوا من ضمن القوى الاستعمارية، فأخذوا يتربصون الفرص للحصول على نصيبهم . ووجدوا من الاسباب ماجعلهم يحصرون تفكيرهم في احتلال ولاية طرابلس الغرب، منها وجود البريطانيين في مصر والهند وغيرهما، وتفوق الاسطول البريطاني ما يحد من طموحاتهم في التوسع الاستعماري خارج منطقة البحر المتوسط .

فضلاً عن وجود فرنسا في الجزائر ومطامعها في تونس، ونفوذها في مراكش، ما يحول دون تحقيق مطامعهم في الشمال الإفريقي ولم يبق بين حدود النفوذ الفرنسي والنفوذ البريطاني إلا طرابلس الغرب، التي كان الطرفان يوشكان على الاتفاق بشأنها، فتحرم منها وتبقى محصورة في أوروبا لذا أخذت تعد نفسها لاستعمارها في المستقبل القريب أو البعيد.

ولما اجتمع الإمبراطور Napoleon III نابليون الثالث (١٨٥٢-١٨٧٠)، مع زوج الملكة فكتوريا Queen Victoria الأميرة البرت Prince Albert في مدينة اورليان Orléans شمال فرنسا عام ١٨٥٧، اقترح الإمبراطور منح جزء من طرابلس الغرب إلى حكومة سردينيا، ما أيقظ فيهم رغبة الاستعمار وجعلهم يحثون الخُطى على ما هم بسبيله في شأن طرابلس الغرب (١).

كانت طرابلس الغرب هدف للتطلعات الاستعمارية الإيطالية منذ عقود، ففي عام ١٨١٦ أقامت جمعية الفرنسيين أول مدرسة تبشيرية للبنين، وتم التدريس فيها باللغة الإيطالية ثم افتتحت أول مدرسة مماثلة للبنات عام ١٨٤٦، وفي عام ١٨٨٠ افتتحت أول مدرسة تجارية في بنغازي.

عدت إيطاليا إن منطقة البحر المتوسط بما فيها بلدان الشمال الإفريقي الحيز الطبيعي لتوسعها، مؤكدة إبان ذلك على أن الاستيلاء على طرابلس الغرب من قبل أي طرف آخر بمثابة تهديد لأمنها (٢).

اصبحت إيطاليا وحدة سياسية عام ١٨٧٠، بعد أن كانت اصطلاحاً جغرافياً، يطلق على شبه الجزيرة وقد ركزت الحكومة جهودها خلال المدة (١٨٧٠-١٨٨١) على مشكلاتها الداخلية وتطوير الاقتصاد ولما خطت في هذا السبيل خطوات كبيرة تمكّنها من التطلع الى الخارج بدأت تفكر في ايجاد مستعمرات لها حتى تكون في عداد الدول الكبرى، لكن الطموحات الإيطالية اصيبت بخيبة أمل عقب خروجها خالية الوفاض من مؤتمر برلين (١٨٧٨/٧/١٣-٦/١٣)، في حين منح فرنسا الحق باحتلال تونس، ضمن تسويات متبادلة مع الدول الأوروبية الأخرى وهو ما حدث بموجب معاهدة باردو في ١٨٨١/٥/١٢، الامر الذي شكل اخفاقاً للدبلوماسية الإيطالية بسبب حجم التواجد الكبير لهم فيها، ثم اعقب ذلك نكسة أخرى للطموحات الاستعمارية الإيطالية باعلان الحماية البريطانية على مصر (٣) في ١٨٨٢/٩/١٤.

من الممكن تلخيص دوافع السياسة الاستعمارية الإيطالية بالآتي:

١. التكوين الجغرافي، فأيطاليا عبارة عن شبه جزيرة سواحلها طويلة، مما يجعل الدفاع عنها في غاية الصعوبة .

٢. العامل الاقتصادي، شح المصادر الطبيعية وشيوع الفقر، إذ يعتمد السكان على الزراعة كمصدر للعيش، في حين تتركز مراكز النشاط البشري في حوض لومبارديا وسط البلاد، أما الاجزاء الجنوبية فتغطيها المستنقعات، لذلك عاش سكانها بفقر مدقع، مع معدلات مرتفعة للزيادة السكانية، ذلك ما يُنذر بمشكلة اجتماعية خطيرة، لذلك اعتمد الايطاليون عبر تاريخهم على انتاج البلاد الأخرى لسد احتياجاتهم الأساسية.

٣. شكلت تونس محط اهتمام إيطاليا فهي تبعد نحو ٢١٥ كم عن ساحل صقلية، حتى اصبح الايطاليون ينظرون اليها كمجال حيوي، كما تتميز بغناها بالثروات الطبيعية، كالحديد

والفوسفات، في حين يشهد قطاع الزراعة ازدهار ملحوظ، بسبب وفرة مصادر المياه وطبيعتها الخضراء، كلها عوامل تجعلها صالحة للاستيطان والاستثمار.

٤. لم تتأثر إيطاليا بالثورة الصناعية، لخلوها من الموارد الطبيعية، فسعت لسد النقص الناتج عن ذلك، ثم رغبت بإيجاد أسواق لتصريف منتجاتها المحلية، نتيجة للمنافسة المحدومة في أسواق أوروبا (٤).

لذا فمنذ عام ١٨٨١، وجهت إيطاليا اهتمامها نحو طرابلس الغرب، حيث اشتركت عوامل كثيرة في الدفع بهذا الاتجاه، وهي:

١. التوسع والحصول على مستعمرات جديدة، خاصة أنها لم تستطع تحقيق من وراء توسعها في القرن الإفريقي ما كانت تطمح إليه من توسع استعماري ذي دوافع اقتصادية، لمعالجة مشاكلها الداخلية.

٢. الرغبة في أن يكون لإيطاليا مكان مرموق على البحر المتوسط، يحقق لها السطوة السياسية التي تحلم بها، ما يجعلها ضمن نفس المستوى مع الدول الاستعمارية الأوروبية الأخرى.

٣. ادعاء الرسالة الحضارية والقيام " بعبء الرجل الأبيض " في تمدن الشعوب المتخلفة، مع استحضار مكثف لماضي روما الاستعماري.

لقد نشطت الجهود الإيطالية للعمل على احتلال هذه البلاد، مستندة الى دعوى المصالح الحيوية والدفاعية، وقرب طرابلس الغرب من السواحل الإيطالية وإمكانية التوسع السكاني فيها، واستثمار مواردها الاقتصادية (٥).

ومن الدوافع السياسية - العسكرية التي شجعت إيطاليا على الشروع في مشروعها الاستعماري:

١. الزيادة السكانية وبروز الحاجة الى اراضي جديدة ليهاجروا إليها، من أجل توفير سبل العيش لهم ولممارسة نشاطهم الاقتصادي.

٢. كبر مساحة طرابلس الغرب وقربها من سواحل إيطاليا.

٣. ضعف الدولة العثمانية السياسي والعسكري.

٤. اطمئنانها الى امكانية الحصول على تأييد الدول الأوروبية الكبرى في مرحلة لاحقة (٦).

بالإجمال لا يميز الأمر برمته، سوى أمرين محددتين في غاية الأهمية :

١. ضعف المشروع الإيطالي في حد ذاته، فأيطاليا لم تكن في تلك المدة قوة اقتصادية كبرى قياساً ببريطانيا مثلاً، كما أن مشاكلها في البلقان مع العثمانيين والإمبراطورية النمساوية لم تكن تتركها طليقة اليدين، ومن جهة أخرى، كان حجم القوى الاشتراكية المناهضة في الداخل لنموذج البورجوازية الاستعمارية يعطل بجد انطلاق المشروع الاستعماري بكل عنفوانه، ومن وجهة النظر هذه، فإن احتلال إيطاليا لطرابلس الغرب، وهي التي لم تكن لها مصالح اقتصادية فعلية كبيرة في البلاد، اعطى لتحركها هذا منذ البداية شكل العمل المتهور الذي يفتقد الى المصداقية.

٢. أن مركز الثقل الاجتماعي والسياسي والعسكري في ولاية طرابلس الغرب العثمانية في تلك المدة لم يكن في المدن، التي ربما لم يكن يوجد من بينها من يمتلك مواصفات المدينة سوى طرابلس الغرب، بل في البوادي والواحات والقرى الداخلية (٧).

Abstract

Methods of peaceful Italian penetration in State of Tripoli West (1881-1911)

The European colonial penetration was manifested in its geographical beginnings and in the activity of the European consuls; it was used as a basis for the definition of Africa, where the center .was an unknown spot

The Italian colonialists considered the Mediterranean region, including the North African countries, to be the natural space for their expansion, stressing at the time that the seizure of Tripoli by any other party was a threat to the security of Italy

Italian politicians began to embrace the project in its peaceful phase. Prime Minister Giolitti, for his enthusiasm and long tenure, began to promote public opinion in support of peaceful means of penetration. This helped the Ottoman administration's decay and .delay in all fields

Italian explorers quickly gathered to gather information about Tripoli in order to make use of the future. They provided the decision makers with a comprehensive picture of the state and its inhabitants, which is very valuable, which contributed to increasing the .momentum for peaceful penetration

This is followed by the arrival of missionaries, who found the opportunity to work in the social sphere because of the great shortage of education and health. Their background and advanced experience in this context, which enjoys abundant governmental support, are also very sophisticated if compared to the dilapidated Ottoman administration. Italian language and culture, especially in the upper classes, have been spread as a result of constant friction with Italian community members who have been active in all aspects .of Tripoli society

In conclusion, the economic dimension was the main focus of Italian penetration in Tripoli, the main reason for the beginning of the project. The Italian authorities sought to explore and then dominate all economic activities and the related infrastructure of ports, railways, etc., Has the necessary expertise in this regard, represented by the Bank of Rome, which entered the state in 1905, in order to achieve specific goals, and with the full support of the Italian government began to penetrate and acquire all aspects of economic .activity, Its final finish

أولاً: الإدارة العثمانية في طرابلس الغرب (١٨٣٥-١٩١١).

نجح العثمانيون في فرض سيطرتهم المباشرة على طرابلس الغرب في عام ١٨٣٥ بعد أن كانت تُدار من قبلهم بشكل غير مباشر عن طريق حكم الأسرة القرماتلية (١٧١١-١٨٣٥)، فبدأ بذلك العهد العثماني الثاني (١٨٣٥-١٩١١)، الذي ينقسم الى مرحلتين (١٨٣٥-١٨٨١) و (١٨٨١-١٩١١) في حين تعاقب على الحكم خلالهما ٣٣ والي .

تضافرت عدة عوامل في التأثير في بنية مجتمع طرابلس الغرب ذي التركيبة القبلية، إذ كانت السياسة الرسمية للدولة العثمانية منصبة على بناء دولة مركزية قوية من خلال العائدات الضريبية، بغية مواجهة التوسع الأوروبي وكان هذا الهدف، يتطلب اخضاع القبائل القوية في الداخل، وإلغاء كافة الاعفاءات الضريبية، وهذا، بدوره، تطلب انشاء جيش قوي بما يكفي لهزيمة القبائل المتمتعة باستقلال ذاتي، ومنظومة ادارية جديدة لتنفيذ سياسة الدولة، وتوطين القبائل البدوية، وحماية التجارة، واستحداث نظام تعليمي قصد توفير الاداريين والمعلمين والقضاة وغيرهم، ممن تقتضيه الحاجة لتشغيل المنظومة الادارية الجديدة، لذا كانت مهمة الإصلاح الداخلي، طموحة، عسيرة الانجاز؛ فهزيمة ثورة قبيلتي المحاميد وأولاد سليمان في طرابلس الغرب وفران استغرق من الجيش العثماني نحو ٢٠ عام، إذ رفضوا التخلي عن الامتيازات والاعفاءات التي تمتعوا بها في اثناء حكم القرماتليين، وكان اشدها تمرد غومة بن خليفة المحمودي (١٧٩٥-١٨٥٨)، شيخ المنطقة الغربية وزعيم قبيلة المحاميد (١٨٣١-١٨٥٨)، إذ لم تستتب الامور إلا بمقتله في نيسان ١٨٥٨.

في عام ١٨٥٨ سن العثمانيون قانون يتعلق بالأرض يقضي بتسجيل الاراضي المملوكة من قبل الأفراد وكان الهدف من هذا الاجراء جباية الضرائب من المالكين مباشرة بدلاً من جبايتها عبر وسطاء من الأعيان أو شيوخ القبائل الذين كدسوا ثروة من خلال اقتطاع نصيب من عائدات الاراضي (٨).

الواقع أن مدينة طرابلس الغرب كانت محور اهتمام السلطات ومركز ثقل الوجود العثماني، فقد كانت دائماً الأغنى موارد وسكاناً، وينعكس هذا على في حجم سكان المدينتين الرئيسيتين في الولاية (بنغازي وطرابلس الغرب) في النصف الثاني من القرن التاسع عشر، حين كان سكان الولاية بعمامة يقدرون بنحو ٧٥٠٠٠٠ نسمة، كان عدد سكان مدينة طرابلس الغرب نحو ٦٠٠٠٠ نسمة، في حين بلغ سكان بنغازي ١٥٠٠٠ نسمة فقط (٩).

خلال هذه المرحلة انتشر السخط بين السكان، فالتنظيمات العثمانية التي استمرت بالصدور منذ نهاية الثلث الثاني من القرن التاسع عشر كانت تقوم على تدعيم النظام المركزي وتشديد قبضة الدولة على ولاياتها وإلغاء ما كانت تتمتع به قبل ذلك من امتيازات، خصوصاً وأن ذلك في نظر الدولة هو الوسيلة الفعالة لمواجهة الاخطار الاستعمارية، ولذلك فالحكم العثماني في طرابلس الغرب كان يتسم بالمركزية، رغم أن النظام اللامركزي كان هو الأنسب بحكم الموقع وتخلف المواصلات، كما أن محاولات الإصلاح العثماني كانت قليلة الأثر؛ كذلك من سمات هذه المرحلة من الحكم العثماني ازدياد النشاط الاوروبي في طرابلس الغرب إذ حاول القناصل الاوروبيون في هذه الولاية مثلما فعلوا في ولايات الدولة العثمانية عامة استغلال امتيازاتهم بحيث صار لهم دور كبير في ادارة شؤون الولاية (١٠).

أدرك العثمانيون خطورة الموقف، بعد أن تأكد لديهم أن دول أوروبا قد بدأت تتحرك للاستيلاء على ممتلكاتهم، في محاولة لاقتطاع اجزاء منها، كل هذا دفعهم لدرء الأخطار بتدعيم حكمهم، وتثبيت أركانها في داخل الإمبراطورية وقد أدى هذا الى تحسين طريقة حكمهم المحلي في ولاية طرابلس الغرب من بعض الجوانب، ولكن لم يكن في الامكان أن يرى المرء نتائج سريعة لهذا

التحول في أسلوب حكمهم، إذ كثير ما شغل الولاة بالمشاكل الداخلية، حيث نشير في هذا السياق الى أنه تعاقب على الحكم خلال هذه المدة ستة عشر والي، من دون تحقيق أية إصلاحات تُذكر (١١).

من أبرز محاولات الإصلاح تلك التي قام بها احمد عزت باشا في ولايته الثانية (١٨٥٧-١٨٦٠)، حيث أهتم بالتنظيم الاداري وحث السكان على إرسال أبنائهم إلى المدارس التي أقامها في بعض المدن الرئيسية وبخاصة في طرابلس الغرب، كما أسس مكاتب الرشدية ودائرة للبريد، وأشتري سفينة سماها " المولودية" من بريطانيا بمبلغ قدره (٤٥٦٠) باون ساهم تجار الولاية بشرائها، وخصصت لنقل البريد من والي اسطنبول .

خلال ذلك توافد التجار الاوروبيون الى الولاية، فعمرت بضائعهم السوق المحلية ووجدت بعض القبائل مصدراً لتشغيل أبلها في نقل التجار الأوربيين الى المناطق الداخلية وبخاصة السودان، وأعقبه الوالي محمود نديم باشا (١٨٦٠-١٨٦٦)، الذي أدرك منذ الوهلة الأولى أن الولاية تعاني فقر شديد سببه الفوضى التي أعاقت حركة التطور، كما أن السكان كانوا مسالمين، لكنهم غير ميالين للتغيير مقتنعين بحد أدنى للعيش، فتوجه لإصلاح قطاع الزراعة، وأحضر غرس الزيتون ثم قدمها بالمجان، وبنى مقر للحكومة في ناحية العزيزية وزوارة، وأسس مطبعة في طرابلس الغرب لطبع الصحف والكتب المدرسية، كما استحصل على فرمان يقضي بتحويل الولاية إلى ولاية، فعم الفرخ مختلف المدن، وياشر بتوزيع الوظائف على المتعلمين من السكان، ونظم مجالس الجنايات والحقوق والتجارة.

أعقب هذا الوالي المصلح المشير علي رضا باشا (١٨٦٦-١٨٧٠)، الذي أهتم بتنشيط الزراعة وقدم للفلاحين القروض وخفف عنهم الضرائب، كما سهل لهم وسائل بيع منتجاتهم لتونس أو غيرها، ثم أهتم بالصناعة وأمن للصناعات الحرفية المحلية الآلات اللازمة، وشق الطرق، ونظم البريد بين مختلف المدن، وأقام سوق العزيزية وأعفى بضائعه من الضرائب، وأقام برج الساعة مع بناء مسجد كبير بالقرب من مقر الحكومة .

تزامن اهتمام الولاة العثمانيين مع تزايد النفوذ الأوربي بولايات الدولة العثمانية وولايات الشمال الأفريقي خاصة، ولمس السكان الخطر الأوربي بعد التحرشات الفرنسية بتونس واستعدادها فعلياً لاحتلالها بذريعة مهاجمة القبائل التونسية للحدود الجزائرية، وإرغام الباي على توقيع معاهدة باردو في ١٢/٥/١٨٨١، بعد دخول القوات الفرنسية الاراضي التونسية، ومحاصرتها لقصره، وعلى أثر ذلك عينت الدولة العثمانية الوالي أحمد راسم باشا في تشرين الثاني ١٨٨١، وعهدت اليه مهمة حماية طرابلس الغرب من الخطر المحدق بها (١٢).

أزداد الشعور بالخطر المحدق بطرابلس الغرب عقب احتلال تونس، ثم مصر، إذ أدركت إيطاليا وجوب تحويل أنظارها نحو ولاية طرابلس الغرب، وربما فسرت هذه التطورات اتجاه الرأي العام في ولاية طرابلس الغرب إلى زيادة حجم القوات العثمانية، ثم دعوة السكان للتدريب وحمل السلاح، من أجل مقاومة التغلغل الإيطالي السلمي في البلاد، إذ كانت تلك المرحلة مقدمة للغزو الإيطالي ولحركة الجهاد الليبي على حد سواء (١٣).

أهتم الولاة وبدءاً من أحمد راسم باشا بتحسين طرابلس الغرب، فاعتنوا بالتسليح، كما اهتمت الدولة العثمانية بالإدارة ففصلت برقة عن طرابلس الغرب وجعلت الأول سنجق مستقل، وأصبح من المعتاد أن يعين أحد رجال الجيش وعادة برتبة "مشير" في منصب الوالي (١٤).

كانت طرابلس الغرب مقسمة منذ عام ١٨٤٣ من الناحية الادارية الى قسمين: ولاية طرابلس الغرب ويديرها والي والثاني متصرفية بنغازي ويديرها متصرف، حيث تُدار الأخيرة مباشرة من قبل اسطنبول ماعدا الامور العسكرية والكمارك والبريد والعدلية، إذ تخضع تلك الدوائر لسلطات طرابلس الغرب؛ كما يساعد الوالي مجلس استشاري يدعى " مجلس الإدارة" الذي يضم قاضي القضاة والمفتي والمكتبجي " السكرتير العام" والدفتردار، وستة أعضاء منتخبين لمدة عامين، وكان مجلس الادارة يدير الشؤون الاقتصادية والقضاء وأمور أخرى معينة.

كانت ولاية طرابلس الغرب مقسمة الى أربع متصرفيات أو " سناجق " وهي : طرابلس الغرب (مركزه طرابلس الغرب)، الخمس (مركزه الخمس)، الجبل الغربي (مركزه يفرن)، فزان (مركزه مرزق)؛ في حين تنقسم كل متصرفية الى نواحي، وكان رئيس المتصرفية يسمى "متصرف" ورئيس القائمقامية " قائمقام"، ورئيس الناحية " مدير" (١٤).

ثانياً: السمات العامة للتغلغل الإيطالي .

أ.السياسات الحكومية

يعود الاهتمام الإيطالي بالشمال الأفريقي الى عام ١٨٦٨ حينما عقدت معاهدة مع باي تونس ضمنت بموجبها الحصول على امتيازات مختلفة لرعاياها في تونس (١٥).

تقرر في الاوساط الرسمية الإيطالية أن يكون هناك محور استعماري جديد في شرق إفريقيا وفي عام ١٨٦٩ نجحت شركة ايطالية بامتلاك ميناء عصب، ثم اعلنتها الحكومة مستعمرة إيطالية في عام ١٨٨٢ بالاتفاق مع بريطانيا، ليتم شراء المزيد من الاراضي لإقامة محطات تجارية، لكن المساعي توقفت عقب هزيمتها أمام الاحباش بمعركة عدوة في ١٨٩٦/٣/١ (١٦).

مع اعلان الحماية الفرنسية على تونس، شرعت ايطاليا بالتحرك، وفي عام ١٨٨٣ تأسست في نابولي "الجمعية الإيطالية لشؤون طرابلس الغرب"، وفي الرسالة السرية الموجهة من وزير الداخلية بتاريخ ١٨٨٤/٢١ الى وزير الحربية يطلب فيها الاستعداد للغزو، واعداد حملة سرية من ٣٠٠٠٠ جندي، لكن المشروع لم يتم، فالحسابات القائمة على غزو فرنسا لمراكش، ثم استغلال ايطاليا الحدث لأنزال قواتها في طرابلس الغرب لم تتحقق، حيث لم تقم فرنسا بمهاجمة مراكش، كما عارضت بريطانيا الطموحات الإيطالية بصرامة (١٧)؛ كذلك رافق هذا التحرك، سعي السلطات الإيطالية للشروع بتنفيذ خطتها للسيطرة على طرابلس الغرب، مستندة الى دعوى المصالح الحيوية والدفاعية، وقربها من الساحل الإيطالي وإمكانية التوسع السكاني فيها، واستثمار أوضاعها الاقتصادية.

وضعت ايطاليا في البداية خطة تهدف الى تجنب الدخول في الحرب، وذلك بالتسلسل التدريجي الى طرابلس الغرب، بطريقة سلمية، يُحتذى فيها بالتجربة الفرنسية التي تمت في تونس، إذ تعتمد على النفوذ الاقتصادي، والسيطرة على المصالح الاقتصادية الرئيسية، ثم التوسع التدريجي في الهجرة عن طريق الايدي التي ستستخدم في المشروعات التي تتولاها؛ ولم تكن ايطاليا مهيةة في ذلك الوقت، للدخول في مغامرة عسكرية؛ كما واجهت في البداية مشكلة أساسية تقوم على اختلاف الاوضاع بين طرابلس الغرب وتونس ومصر؛ إذ كانتا تتمتعان بنوع من الحكم الذاتي، مكن من بسط الحماية والسيادة عليهما، أما طرابلس الغرب فقد كانت تحكم بشكل مباشر، مما كان يستدعي بالتالي، المواجهة المباشرة للسلطة العثمانية، فلم يبقى لأيطاليا، خلال المرحلة التمهيديّة سوى التدخل السلمي، عبر طرق مختلفة؛ كما عملت ايطاليا باتصالاتها الدبلوماسية، على تأمين احتكارها للمنطقة، والانفراد بحق استعمارها، والاستفادة منها، لقاء تسويات دولية، مع الدول الاستعمارية الأوروبية الأخرى (١٨).

وهكذا ترسخ التوجه الاستعماري في ايطاليا للبحث عن أراضي جديدة ومواد أولية، وبتأثير الحمى الاستعمارية التي سيطرت على أوروبا في تلك المدة، إذ سادت في السياسة الإيطالية شعارات تعبر عن هذا التوجه مثل " التوسع ضرورة لتشغيل اليد العاملة" و"وجوب توفير مكان تحت الشمس للشعب الإيطالي و" اقتفاء آثار روما الخالدة وأسترجاع مجد الأجداد"؛ وظهرت في البلاد بين السياسيين فئة من الاستعماريين الذين آمنوا أن التوسع الاستعماري سيكون عامل أساسي في حل المشاكل المستعصية التي كانت تخيم على إيطاليا وفي مقدمتها أزمة البطالة والاقتصاد التي كانت تطيح بالحكومة تلو الأخرى حتى أنه تعاقب للمدة (١٨٨٧-١٩١١) ست عشرة وزارة، كان معظمها لا يستمر أكثر من عام واحد؛ لكن برغم اختلاف بعض هؤلاء الاستعماريين في أحزابهم فإنهم كانوا يتلاقون على صعيد واحد ويتفقون في الرأي حول وجوب التوجه للاستعمار والتوسع، وبرز بين هؤلاء ثلاثة كانوا من غلاة الاستعماريين وهم كرسبي Crispi (١٨١٩-١٩٠١) الذي تولى الوزارة مرتين

(١٨٨٧/٧/٢٩ - ١٨٩١/٢/٦ ؛ ١٢/١٥ / ١٨٩٣ - ١٨٩٦/٣/١٠) وجوليتي Giolitti (١٨٤٢-١٩٢٨) الذي تولاها خمس مرات حتى عام ١٩١١ (١٨٩٢/٥/١٥ - ١٨٩٣/١٢/١٥ ؛ ١٨٩٨/٦/٢٩ - ١٩٠٠/٦/٢٤ ؛ ١٩٠٣/٢/٣ - ١٩٠٥/٣/١٢ ؛ ١٩٠٦/٥/٢٩ - ١٩٠٩/١٢/١١ ؛ ١٩١١/٣/٣٠ - ١٩١٤/٣/٢١)، ثم الجنرال بيلوكس Bilox (١٨٣٩-١٩٢٤) الذي تولاها مرة واحدة (١٨٩٨/٦/٢٩ - ١٩٠٠/٦/٢٤)، إذ أشتهروا بأنهم دعاة حرب حتى أن جريدة Corriere della Sera النافذة التأثير كانت تلقبهم " فرسان الاستعمار الثلاثة" (٢٠).

لقد قيمت إيطاليا طرابلس الغرب بأعتبرها معبر مهم الى الشمال الإفريقي مع امتداد سواحلها البالغ نحو ١٩٠٠ كم والحاوية عدد من الموانئ الاستراتيجية التي تصلح كحلقة وصل بين أوروبا ومناطق أفريقيا جنوب الصحراء، مادعم موقف دعاة الاستعمار حيث شكلت مرتكز للتوسع بالاتجاهات الاربعة:

١. الشمال: نحو المتوسط إذ كان الجدل السائد بأنه يمكن أن يصبح "بحيرة ايطالية خالصة".
٢. الجنوب : شكلت طرابلس الغرب واحدة من أقدم البوابات التجارية لمنجات مناطق الداخل الإفريقي (كالعاج والذهب وريش النعام) نحو قلب أوروبا إذ تمر بها خطوط التجارة من (بورنيو، تشاد، وادي تبستي، تمبكتو، دارفور)، كونها أقرب طريق لساحل البحر المتوسط.
٣. الشرق: التوسع نحو السودان وأثيوبيا، والضغط على الوجود البريطاني في مصر.
٤. الغرب: تدعيم النشاط الايطالي في تونس حيث توجد جالية ايطالية منتفذة لا يستهان بها، وتشكل قوة مؤثرة من الممكن أن تخلق مشاكل كبيرة للفرنسيين هناك (٢١).

شرح كرسبي بوضع خطته موضع التنفيذ لدى توليه رئاسة الوزراء للمرة الاولى في ١٨٨٧/٧/٢٩، فأخذ يجس نبض الحكومة البريطانية، حول مشروع الاستيلاء على طرابلس الغرب؛ لكن الرد كان مخيب للأمل، حيث أقرت بمشروعية الفكرة، لكنها حذرت من المشروع بأي تحرك، لأن الوقت غير ملائم، إذ قد يدفع بالدولة العثمانية لطلب الحماية الروسية (٢٢).

رغم الاخفاق السياسي، " فقد وضع كريسبي فكرة تصميم النشاط الايطالي لنشر اللغة والثقافة الايطالية في أقطار الشمال الإفريقي والشرق العربي منذ سنة ١٨٨٩ ولاسيما ليبيا"، حيث لجأت السياسة الايطالية للأسلوب التقليدي للتغلغل الاستعماري، لكنه انسحب من الساحة السياسية بعد استقالته في ١٨٩٦/٣/١٠ بسبب هزيمة عدوة.

لكن مهندس مشروع الغزو هو جوليتي، فمع توليه رئاسة الوزراء للمرة الاولى في ١٨٩٢/٥/١٥، اعطى اهتمام خاص للتغلغل الايطالي في طرابلس الغرب ووضع خطة لذلك تقضي بأرسال الخبراء العسكريين والسياسيين تحت اسماء مستعارة، وتشجيع رؤوس الاموال الايطالية على الاستثمار فيها، والعمل على شراء الذمم وربط بعض العملاء، كما قدم مشروع لاستثمار رؤوس الاموال في طرابلس الغرب الى مجلس النواب، وحصل على موافقته.

مع توليه وزارته الثالثة في ١٩٠٣/٣/٢، نشط في بث الجواسيس والعيون في طرابلس الغرب، فأرسل جهاز المخابرات الايطالي مجموعة منهم تسللت الى جميع المدن الرئيسية، كما أوفد بعض السياسيين من وزارة الخارجية ليوافقوا الحكومة بتقارير مفصلة عن الاوضاع في البلاد مع محاولة كسب بعض الوجهاء، وليقوموا بكل ما من شأنه أن يساعد على اتساع شقة الخلاف بين السكان والسلطات المحلية؛ وقد تحدث في مذكراته عن نشاطه هذا، مشيراً الى تعليماته بضرورة "الاستفادة من الخصومات والخلافات السياسية ومن تذر الزعماء المحليين من السلطات التركية"، كما كتب " أن تقارير قناصلنا لفتت انتباهنا الى أنه لا يخلو بين الزعماء ذوي النفوذ من اظهر انه موافق على التفاهم معنا" (٢٣).

يعود سبب هذا التوجه، الى أن طرابلس الغرب لم تكن تحظى بأي نوع من الحكم الذاتي، كما هو الحال في تونس ومصر، بل كانت تحكم مباشرة من اسطنبول عن طريق الوالي، الذي لم يكن يمتلك الصلاحية لعقد أية معاهدات، بين الولاية والدول الأخرى.

لذلك لم يجد الساسة الايطاليون أمامهم سوى اللجوء للتغلغل السلمي، حيث تم ذلك وفقا لسياقات متعددة، تبعا للظروف والمستجدات، وليس بأسلوب محدد، ما أعطى السلطات حرية اكبر للتحرك والمناورة، الأمر الذي سمح بتحقيق النتائج المنشودة في نهاية المطاف (٢٤).

ب. الحملات الدعائية

شهدت الأعوام الأخيرة من القرن التاسع عشر، ازدياد أعداد الصحف الشعبية ذات السعر المنخفض والانتشار الكبير مما جعل منها وسيلة اعلام تحظى بأهتمام كبير من قبل النخبة السياسية، حيث اسهمت بشكل مباشر في دعم المشروع الاستعماري الايطالي في طرابلس الغرب، عبر وسيلتين مهمتين للغاية.

١. تعبئة الرأي العام المحلي والخارجي لتقبل فكرة الغزو.

٢. كانت أداة ضغط على صناع السياسة في ايطاليا لحث الخطي .

عمدت الصحافة الايطالية الى صياغة مادتها التحريضية بكلمات بسيطة تأخذ صيغة شعارات مختصرة يسهل حفظها وتداولها، مثل "طرابلس الجميلة" و" الأرض الموعودة"، كما لجأت الى استفزاز المشاعر ، بادعاء تعرض الرعايا الايطاليين بصفة خاصة والأوروبيين بصفة عامة للاضطهاد من قبل السلطات العثمانية، ماعرقل عملهم وجعلهم عرضة للاعتداءات المتكررة عليهم وعلى ممتلكاتهم؛ ثم تنتقل للترويج للقاريء بإمكانية حل المشاكل الاجتماعية والاقتصادية عبر الإشادة بالفرص الكبيرة والثروات التي تنتظرهم في طرابلس الغرب، من ذلك ماكتبته جريدة *giornali Atrcillona* " بالنسبة لطرابلس توجد أماكن خلق معجزة من الكروم، والزيتون والفاواكه والحبوب" ، ونشرت جريدة *La Stampa* مقالة حول مدينة درنة في شرق طرابلس الغرب بتاريخ ٢٨/٥/١٩١١ وتصفها " نخيل وزيتون وتين ولوز ومشمش وموز تغمر الحقول والبساتين وتطل بسرور من وراء الجدران القصيرة الفاصلة مابين العقارات" (٢٥)؛ كما كانت هذه الجرائد لسان حال دعاة التوسع الاستعماري من غلاة القوميين الذين امتلأت خطبهم ومقالاتهم بالدعوات الى الحرب، حيث اطلق هؤلاء على تنظيمهم أسم "الرابطة القومية"، ليأخذ الصفة الرسمية عام ١٩١٠، كذلك شرعت جريدتهم *idea Nazionale* التي يمولها كبار الرأسماليين بحملة واسعة لصالح تكثيف الجهود لاحتلال طرابلس الغرب، فتمدح باستمرار مناخ وموارد الولاية، وتعد الشعب الايطالي بالتخلص من الفقر، مع الترويج للفلاحين بالأراضي الخصبة "بعد نزهة عسكرية سهلة في شمال إفريقيا"، محذرة من التقاعس " لكي لا تأخذ دولة أخرى من ايطاليا ممتلكات الامبراطورية الرومانية الشرعية".

كذلك سعت هذه الجرائد لإثارة المشاكل مع العثمانيين، ومن هذا استغلال جريدة القوميين لموضوع احالة السفير الايطالي في اسطنبول للتقاعد، إذ نسبت الأمر "للتوتر في العلاقات بين الدولتين بسبب معارضة الباب العالي للنفوذ والمصالح الايطالية في طرابلس الغرب" (٢٦) . ثم أنها دأبت على التحريض ضدهم، عبر نشر تصريحات غلاة الاستعماريين من الوزراء، من أبرزهم جوليتي الذي ذهب الى اتهام الحكومة العثمانية بأنها " تمارس تجارة العبيد"، وصرح " لا تزال أحوال التخلف تسيطر على ليبيا بصورة غريبة ويكفي أن نذكر أن في بنغازي لا تزال تمارس تجارة العبيد الذين يختطفون بالقوة من أواسط افريقيا ويباعون بعد ذلك في أسواقها، ومن المستحيل السكوت على بقاء وصمة مثل هذه على أبواب أوروبا" (٢٧) .

دعمت الجرائد الايطالية وبالأخص جريدة *Il Giornale d'Italia* هذا التوجه الحكومي فأخذت تنادي "بأن واجب الانسانية يحتم عليها أن تتولى اصلاح الحال بعد أن اخفقت الحكومة العثمانية وظهر عجزها للعيان في هذا السياق"، بل ذهبت الى أبعد من هذا وطغنت في السيادة

العثمانية على الولاية "لأن السيطرة وحدها على إقليم ما لا تبرر امتلاكه ما لم يكن مقروناً بتحسينه ومراعاته سياسياً واقتصادياً"، ثم أخذت تكرر مزاعمها عن ثروة البلاد المعدنية والزراعية وإمكانية استغلالها عند توفر اليد العاملة؛ أما في الخارج فكانت البعثات تتولى نشر هذه الدعاوى، إذ تمدها وزارة الخارجية بتقارير مفبركة عن الاضطهاد في طرابلس الغرب حتى توهم الرأي العام الخارجي بعدالة مطالبها (٢٨).

ثالثاً: أساليب التغلغل السلمي الإيطالي في طرابلس الغرب.

أ. الرحلات الجغرافية

تجلى التغلغل الاستعماري الأوروبي ببداياته، في الرحلات الجغرافية وفي نشاط القناصل الأوروبيين؛ حيث تم الاعتماد عليها كأساس للتعريف بأفريقيا التي كان وسطها يمثل بقعة مجهولة.

اشتركت دوافع متعددة أدت بالرحالة للقيام بمغامراتهم، فكانت المصالح الاستعمارية تختفي كدافع كرئيسي لهم، وكان العلم دافع مهم آخر؛ إذ أدرك الأوروبيون قيمة العلم وأثره في نجاحهم بالتغلغل الاستعماري، ثم تأتي الرغبة الشخصية كدافع مهم كذلك.

لكن لم يكن بالإمكان أن تحقق محاولات الرحالة النجاح إذا ظلت محاولات فردية يقوم بها أفراد بإمكانياتهم الذاتية، بل أحرزت النجاح لأن أصحاب المصالح الخاصة والعامة أقاموا مؤسسات دعمت تلك المحاولات ووجهتها وأشرفت عليها؛ فهي التي تزود الرحالة بكل ما يحتاجه في رحلته من المعلومات والتسهيلات عن طريق السفارات والقنصليات، كما تمول الرحلة، وفي هذه المؤسسات كان الرحالة يسلم تقريره بعد عودته، لتتولى نشره (٢٩).

تولت "الجمعية الانكليزية لاكتشاف دواخل أفريقيا" الرحلات العلمية الأولى، بداية برحلة وليام لوкас William Lucas في عام ١٧٨٩، وشجعت عليها، إذ كانت طرابلس الغرب، تمثل نقطة انطلاق وعودة لهذه الاكتشافات التي كانت تتجه إلى البحث عن طريق عبر أفريقيا الوسطى.

في مستهل القرن ١٩، ساهم إيطاليان في تحسين المعرفة الجغرافية بطرابلس الغرب، وهما اغسطينو شرفلي الذي رافق في عام ١٨١٢، حملة قرمانلية ضد برقة، ثم الرحالة باولو ديلا شيللا الذي قطع نفس الطريق في عام ١٨١٧ كطبيب مرافق لأحمد بك القرمانلي (٣٠).

لم يتم توثيق تواجد الرحالة الإيطاليين حتى عام ١٨٨١، مع التنويه إلى أن معظمها أنطلقت بناء على مبادرة من "الجمعية الإيطالية للاستكشاف الجغرافي والتجاري" التي كانت مدينة ميلانو مركزاً لها، وبإيعاز من مديرها كامبيريو مدير مجلة "المكتشف".

نشير هنا إلى أهم الرحلات التي تمت خلال المدة (١٨٨١-١٩١١)، بدءاً من رحلة مانفريو كامبيريو وجوزيبي هايماي عام ١٨٨١، وبييترو مامولي (١٨٨٢-١٨٨٣)، و إبنشيتي عام ١٨٩٥، وفيناسا دي ريني وبيديرتي عام ١٩٠١، وهالبيير ودي سانكتيس عام ١٩١٠، وبيجوينيو وسفورترزا وسانفيليبو عام ١٩١١، وقد احدثت البعثة الاخيرة ضجة واسعة، إذ أن أفرادها سجنوا، ولم تطلق السلطات سراحهم إلا عقب الصلح في ١٩١٢/١١/١١ (٣١).

أولى هذه الرحلات، رحلة كامبيريو الذي وصل إلى طرابلس الغرب في ١٨٨١/٢/١٩، كما قام بزيارة برقة، حيث لحقت به بعثة مامولي - هايماي، التي انتهت في درنة وذلك عام ١٨٨٢-١٨٨٣، إذ تشكلت برئاستهما بعثتان الأولى ذات مهمة اقتصادية بحتة برئاسة كامبيريو، والثانية علمية فنية برئاسة هايماي، أما مامولي فكان عضواً بالبعثة.

في عام ١٩٠٣ قام الجيولوجي الإيطالي دي ريني بدراسات جيولوجية على طول الساحل الطرابلسي، ثم دومينيكو تومياتي الذي زار طرابلس الغرب عام ١٩٠٥ وكتب تقرير عن رحلته تميز بالروح الفنية والتاريخية؛ ومن الجانب التجاري نشير إلى رحلة سلفاتوري جانو، الذي زار برقة، كما كتب عن الجانب العسكري ت.ش. جاتيني، وقام عضو مجلس الشيوخ دي

مارتينو بزيارة برقة عام ١٩٠٧ لأغراض سياسية، ثم قام هنريكو كوراديني بزيارة الى برقة وطرابلس الغرب في ربيع ١٩١١ للقيام بدراسات سياسية واقتصادية^(٣٢). شكلت هذه الرحلات على اختلافها الخطوة الأولى للتغلغل الإيطالي كونها سمحت بجمع المعلومات عن احوال طرابلس الغرب وإمكانياتها الدفاعية، لذا بحلول عام ١٩١١ تجمعت لدى السلطات الإيطالية تقارير استخبارية سمحت لها بإصدار دليل عسكري لولاية طرابلس الغرب تضمن معلومات شاملة عن التضاريس والمناخ وطرق المواصلات والنظم الإدارية والسياسية والعادات الدينية... الخ، كما تم تجهيز قاموسين أحدهما إيطالي - عربي والآخر إيطالي - عثماني، مع خرائط لطرابلس الغرب وبرقة وغيرها من المدن الرئيسية^(٣٣).

ب. البعثات التبشيرية والتعليم

لم تكن هذه الوسيلة للتغلغل السلمي بالجديدة، إذ كانت معروفة من قبل بعض الدول الاستعمارية كبريطانيا وفرنسا، وقد اختارت إيطاليا أن تسير على نفس السياسة في طرابلس الغرب، ساعية للمساس بالمشاعر الدينية والقومية للسكان، فلجأت للاستعانة بالبعثات التبشيرية من ناحية والمدارس الإيطالية من ناحية أخرى^(٣٤).

لقد كانت للكنيسة الكاثوليكية وجهة نظر مؤيدة للتوجه الاستعماري، إذ كانت ترى بأن الاستيلاء على طرابلس الغرب سيساعد على تقوية نفوذها في إفريقيا فاتهمت بنشاط جم بتهيئة الرأي العام الإيطالي للموضوع، فأخذت المنظمات الكاثوليكية أمثال " أوسرفاتوري رومانو" و " بوبو لورومانو" تعمل في هذا الاتجاه داخل إيطاليا وخارجها^(٣٥).

يعود نشاط البعثات التبشيرية الى عام ١٨٨٩ عندما انشأت مدرستان ابتدائيتان كانتا تابعتين للفرنسيين، مع العلم أن وجودهم يسبق هذا التاريخ، لكن اتسع نشاط هذه البعثات فشمّل أنحاء متفرقة في الولاية حيث انتشر المبشرون في معظم المدن والقرى وأقاموا الكنائس بحجة ممارسة نشاطهم الديني، وانشؤوا المزيد من المدارس، كما أسسوا بعض الملاجئ وشرعوا في عمل جاد ونشط من أجل كسب ود السكان مع عدم السماح بمعارضة السلطات لنشاطاتهم، فأدعوا بأن عملهم "إنساني قصد به نشر المدنية وإنقاذ أهل البلاد من التخلف والتأخر وإن اهداف البعثات التبشيرية التي جاءت بتكليف من المنظمات الكاثوليكية أو من الفاتيكان مباشرة أو من قبل الحكومة الإيطالية هي اهداف سامية من أجل نقل الحضارة المسيحية دون المساس بمعتقدات وديانة السكان".

لكن تبرز جملة من العوامل تثير التساؤلات حول طبيعة عمل هذه البعثات، تعود الى:

١. معظم البعثات إن لم يكن جميعها، كانت تتلقى دعم مادي ومعنوي من الحكومات الإيطالية المتعاقبة.

٢. كانت البعثات مرتبطة بالقنصل الإيطالي وتتلقى منه التعليمات، ما يتعارض مع مهمتها المعلنة.

٣. ضمت بين أعضائها بخاصة قبل العام ١٩١١ عسكريين جائوا في مهام محددة، كما دخل عدد من الجواسيس تحت ذريعة التبشير.

٤. تحولت لأداة ضغط على الحكومة الإيطالية عندما اشاعوا تعرضهم للأذى من قبل السلطات التي نعتوها " بالتعصب وعدم احترام الديانات الأخرى"، كما اتخذوا من بعض الحوادث الفردية ذريعة لتضخيم الأمر^(٣٦).

كما نشط التغلغل الإيطالي في هذا المجال بالعمل على نشر اللغة والثقافة الإيطالية في طرابلس الغرب، وهو أسلوب نمطي للتغلغل الاستعماري الاوروبي عن طريق التعليم والتبشير، حيث تستهدف بالأساس الفقراء والأقليات الدينية كاليهود، إذ أسهم التعليم في ربط نشاطاتهم الاقتصادية في المستقبل بإيطاليا، كذلك انشاء بعض الاعمال الخيرية كالمستشفيات وملاجئ الايتام والعجزة في أهم مدن الولاية كطرابلس الغرب وبنغازي^(٣٧).

كانت هذه المدارس بمثابة جسر لربط السكان بإيطاليا وتعميق الاحساس بدورها الحضاري المزعوم، فأسهمت بتهيئة الأذهان للغزو المرتقب، كما كانت السلطات الإيطالية تتطلع الى

امكانية الاستفادة في المستقبل من هذه الكوادر المتعلمة التي تتقن اللغة، لذا اهتمت بأعداد مناهج خاصة تُعنى بنشر نوع خاص من الثقافة الايطالية يتوافق وخططها فكانت تزرع الافكار والمبادي الاستعمارية في ذهن الطلاب، حيث تمتعت بإمكانيات ضخمة ومتنوعة مما يجعل دور المدارس العثمانية والأهلية يتضاعف الى جانبها، كما تم توزيعها بحذق ضمن المناطق الأهلة بالسكان على وجه التحديد^(٣٨).

أنشأت إيطاليا خلال العقد الأول من القرن العشرين، مدارس في بنغازي والخمس ومحلة الظهر في طرابلس الغرب، وملجاً للصبيان ومدرسة ابتدائية للبنات وأخرى للذكور ومدرسة عليا تسمى "مدرسة العلوم والتجارة" في طرابلس الغرب، كما انشأت مدرسة ليلية لتعليم الكبار، وعلمت هذه المدارس المنهج الفرنسي باللغة الايطالية مضافاً اليه اللغات العربية والعبرية واليونانية، في حين تولت الحكومة الايطالية الانفاق عليها مباشرة، كما ضمت مدرسة العلوم والتجارة مكتبة ضخمة تحتوي على ٢٠٠٠ كتاب، ومتحف ومكان للرصد^(٣٩). ونجد في اجوبة الفتصليات على سؤال الولاية عن عدد المدارس التابعة لها وعدد طلابها في عام ١٩١١، أن المدارس الايطالية في ولاية طرابلس الغرب "ضمت مدرسة نهائية للذكور تدرس بالمجان نحو ٢٠٠ طالب، ومدرسة نهائية للبنات تضم ٣٠٠ طالبة، ومدرسة نهائية مجانية وميتم في المنشية لم تلبث أن اغلقت بسبب انتشار الكوليرا وكان فيها ٦٠ طفلاً، ومدرسة نهائية للبنات بالخمس فيها ١٤٠ طالبة".

في حين ذكر المؤرخ عزيز سامح أنه في عام ١٩٠٩ كان في ولاية طرابلس الغرب ٢٤ مدرسة للذكور، ومدرسة اسلامية واحدة للبنات و ٩ مدارس لليهود ومدرستان للبنات ومدرسة واحدة مختلطة للإيطاليين أما في بنغازي فكان هناك ١٢ مدرسة حكومية ودار واحدة للمعلمين و ٣ مدارس للبنات المسلمات ومدرسة واحدة لليهود ومدرسة للذكور وأخرى للبنات للإيطاليين^(٤٠).

تذكر احصائية ايطالية تفاصيل اضافية عن هذه المدارس وأنماط التدريس بها، إذ تحدد عددها ب ٥ حكومية وهي تتكون من: رياض أطفال تضم ٣ أقسام وفقاً لمنهج فرويل التربوي؛ مدرسة ابتدائية للذكور، مدتها ٥ سنوات وأخرى للبنات، ومدرسة فنية تجارية، مدتها ٤ سنوات، تهتم بالتعليم التجاري على نحو أوسع مما يقدم في مثل هذه المدارس الفنية في إيطاليا وتوجد مدرسة ليلية للكبار، مع ملاحظة أن اليهود بالمدينة من أكثر العناصر تردداً على هذه المدارس والاستفادة منها، كما برز في ادارتها في الاعوام الاخيرة البروفسور باجي. وثمة مدرسة ايطالية خاصة تديرها الارشالية الفرنسية ايتالية، تأسست عام ١٩٠٢ تحت رعاية الفتصلية الايطالية وضمن اختصاصها.

كما توجد بالخمس مدرسة ابتدائية تأسست عام ١٩٠٢ وتقدم دورات أولية، كذلك توجد مدرسة ابتدائية للبنات تأسست في نفس العام تديرها الراهبات الفرنسيات، كما وتوجد ببنغازي ودرنة مدرستان ابتدائيتان انشئت عام ١٩٠٢ وتديرهما الراهبات الفرنسيات. انتشرت اللغة الايطالية في ولاية طرابلس الغرب، مادفع مدارس الدول الاخرى للتدريس بها، فكانت توجد مدرستين ابتدائيتين فرنسيتين في بنغازي، واحدة للذكور تحت اشراف الارشالية الكاثوليكية، والأخرى للبنات تديرها راهبات القديس يوسف، وتعلم في المدرستين اللغتان الفرنسية والاطالية^(٤١).

الملاحظ أن المدارس الايطالية كانت تعمل بالمجان، ما جعل الاقبال عليها يكون اكثر من المدارس الحكومية التي تستوفي رسوم دراسية من الطلاب، كما كانت تقوم بفصلهم لدى عجزهم عن الدفع، وتمتنع عن قبول جميع المتقدمين للدراسة فيها، بسبب محدودية إمكاناتها، فكانت المدارس الايطالية تقبلهم بكلتا الحالتين.

اثبتت السياسة الايطالية في هذا السياق نجاحها، حيث بلغ عدد الذين يتكلمون الايطالية قبل الغزو، نحو ٣٠% من سكان طرابلس الغرب، غالبيتهم من اليهود، بينما الذين يتكلمون التركية لا يزيد عن ٥%^(٤٢).

هذه النسبة المنجزة جديرة بالحسبان ، ويعود سببها الى تأخر الادارة العثمانية في جميع المجالات وبالأخص التعليم، ما جعل السكان يبحثون عن بدائل أخرى متاحة، كما يعكس حجم التباين في الإمكانيات فالتعليم بالمدارس الايطالية بالمجان رغم ما توفره من طرق ووسائل تعليم متطورة، مقارنة بالمدارس الحكومية، كما أنها أهتمت ومنذ البداية بتعليم البنات، فتفوقت كذلك في هذا النمط من التعليم .

ج. الصحافة

ادركت غالبية الدول الأوروبية الكبرى أهمية اساليب التغلغل الثقافي، حيث تعتبر من انجح الادوات المستخدمة لدعم النفوذ الأجنبي، فهي نمط اكثر استقرارا واستمرارا في فرض السيطرة الاستعمارية، خاصة وأن التسلط الثقافي يؤدي الى تغيير في طريقة تفكير الشعوب نحو مسائل بعينها، بعد أن تنتشعب بلغة وثقافة المستعمر، لكن ذلك لا يعني إنها وحدها كافية بالقدر الذي يلغي الحاجة الى استخدام وسائل التغلغل الأخرى، ما يشكل في الخاتمة حالة من التكامل، تصب في خدمة المشروع الاستعماري^(٤٣)، لذا كان الكشف الجغرافي، ثم التبشير وما يرافقه من إنشاء مؤسسات ذات طابع خيري في ظاهرها، لكنها تحظى في الاغلب بدعم حكومي غير معلن، كالمدارس والملاجيء، ثم جاءت الصحافة بما لها من تأثير بصفتها " السلطة الرابعة" لتكتمل أدوات التغلغل الاستعماري، بشكل ضمني في السياق اللغوي- الثقافي.

تعود بدايات الصحافة في طرابلس الغرب الى عام ١٨٦٦، وحتى عام ١٩٠٨ لم يصدر في الولاية سوى ٤ مطبوعات، جميعها في مدينة طرابلس الغرب، إذ بدأت الصحافة مع صدور جريدة " طرابلس غرب" الرسمية عام ١٨٦٦، اعقبها "السالنامة ١٨٦٨، جريدة الترقى ١٨٩٧، مجلة الفنون ١٨٩٩" التي كانت تصدر في فترات متقطعة، باستثناء جريدة "طرابلس غرب"، لكن خلال المدة (١٩٠٨-١٩١١)، ومع صدور الدستور، شاع مناخ من الحرية الصحفية للرعايا العثمانيين، فصدرت ١٢ مطبوعة، من بينها ٥ جرائد إيطالية، كانت منها تعمل لدعم المصالح الايطالية، ما يعكس زيادة كبرى في وتيرة التغلغل الاستعماري خلال المرحلة التي سبقت الغزو مباشرة، ولم يقتصر الامر على الزيادة في عدد المطبوعات، بل شمل كذلك المطابع، حيث لم يكن يوجد سوى مطبعة الولاية التي تأسست عام ١٨٥٩، وهي مطبعة حجرية بدائية، يجري العمل فيها بطريقة يدوية، لكن في العام ١٨٦٩ تم استيراد مطبعة عصرية.

مع صدور الدستور العثماني تأسست ٤ مطابع جديدة، وهي:

١. مطبعة الترقى ١٩٠٨

٢. مطبعة ج. أربيب ١٩٠٨

٣. مطبعة فنون الطباعة ١٩٠٩

٤. المطبعة الشرقية ١٩١٠^(٤٤)

دأبت الجرائد الطرابلسية "تعميم حرية" التركية و"الترقي" و"المرصاد" و"أبو قشة" العربية على مهاجمة الايطاليين وكشف نواياهم أمام الرأي العام، الذي أخذ بالتيقظ لطبيعة المشروع الاستعماري الايطالي، ما جعل أصحاب المصالح الايطاليين يبادرون الى تأسيس مطبعة وجريدتين "صدى طرابلس، كوكب الشرق"، للدفاع عنهم وشرح وجهة نظرهم، بالأخص فيما يتعلق بطبيعة نشاط المؤسسات الاقتصادية الايطالية في طرابلس الغرب^(٤٥).

اما الجرائد الايطالية التي صدرت في طرابلس الغرب، فهي:

١. جريدة طرابلس ١٩٠٩/١/٨

٢. صدى طرابلس ١٩٠٩/١٢/٢٢

٣. الاقتصادى ١٩١٠

٤. كوكب الشرق ١٩١٠

٥. التقدم، اسبوعية سياسية، صدرت عام ١٩١٠، يديرها غوزمان، وهو من أصل يوناني مولود في الأرجنتين، كانت تهتم بالمسائل الخاصة بالرعايا اليونانيين، مركزة بالخصوص

على صيد الأسفنج، النشاط الاقتصادي الرئيسي لليونانيين في طرابلس الغرب، لكن لم يظهر منها سوى ١٣ عدد، بسبب انتقادها اللاذع للتغلغل الإيطالي، فقدمت ضدها شكاوى عديدة الى الوالي حسن حسني باشا (١٨/٩/١٩٠٩ - ٣٠/٨/١٩١٠)، الذي أمر بطرد صاحبها خارج البلاد، فأحتجبت الجريدة عن الصدور^(٤٦).

د. التغلغل الاقتصادي

كانت إيطاليا وحتى قبل أتمام وحدتها منخرطة مع الدول الأوروبية الأخرى في تنافس محوم لاقتسام ممتلكات الدولة العثمانية الآخذة بالانحلال، ففي ١٠/٧/١٨٦١ وقعت اتفاقية مع الدولة العثمانية نص على منحها امتيازات تجارية وملاحية أسوة بالدول الأوروبية الأخرى، تشمل جميع أرجاء الدولة العثمانية، وفي عام ١٨٨٠ تأسس أول مكتب تجاري إيطالي في بنغازي، وعقب عام وصلت الى برقة بعثة تجارية خاصة^(٤٧).

أدركت غالبية الدول الأوروبية أهمية استخدام الأدوات الاقتصادية في تنفيذ السياسة الخارجية، وبفعاليتها في تحقيق السيطرة الاستعمارية، دونما الحاجة للجوء للقوة العسكرية. لقد بلغ من نجاعة هذا النمط من التغلغل السلمي، أنه قادر على توجيه هياكل وأنشطة البلاد المستهدفة بالصورة المطلوبة، فضلاً عن استخدامها كوسيلة ضغط فعالة على صانع القرار السياسي، لوضع قيود على قراراته واختياراته أي توجيه السياسات فيها بما يخدم أهدافها فتصبح بمثابة بلدان تابعة.

وجدت هذه الفكرة طريقها الى إيطاليا حيث اقتنع ساستها بأهمية استخدام الأدوات الاقتصادية، متخذين قرار بجدوى التغلغل الاقتصادي داخل الولاية، كقاعدة هامة يمكن الاستناد عليها لفرض الهيمنة الاقتصادية، ثم خلق الحجج والذرائع بعد ذلك لاحتلال البلاد.

لذا فمن بين الأدوات الاقتصادية المتعددة لجأت إيطاليا الى أداة هامة، حيث رأى الساسة أنه من الضروري البحث عن جهاز مالي يمكنه أن يتولى القيام بأعباء سلسلة من العمليات الاقتصادية في الولاية تمنح إيطاليا امتيازات في الميدان الاقتصادي كمقدمة للضم السياسي.

وقع الاختيار على بنك روما^(٤٨) للقيام بمثل هذه المهمة، خاصة وأنه يرتبط بالدوائر الحاكمة من جهة، وبالأوساط الكاثوليكية النافذة من جهة أخرى؛ ثم ما لبث أن تحول فيما بعد لأداة مزدوجة لها أهميتها في الإسراع بالغزو، إذ تحول من مجرد وسيلة تمهيدية في البداية الى أداة ضغط على ساسة إيطاليا للتعجيل بالغزو بعد عدة سنوات^(٤٩).

كان عدد الرعايا الإيطاليين في طرابلس الغرب عام ١٩٠٠ يقرب من ١١٠٠ شخص، يعيش في طرابلس الغرب ٩٣٠ شخص و ١٢٠ شخص في بنغازي و ٢٠ في الخمس، ومثلهم في درنة، وعشرة في مصراتة.

لم تكن اعمال بنك روما في عام ١٩٠٠ مقتصرة على الأعمال المالية المعتادة، وكانت تتعداها الى أبعد من ذلك كتعهد الشركات والتجارة بأنواعها وأشياء أخرى؛ كما كانت هناك "جمعية المستعمرات الإيطالية التي كانت تتعاطى الاستيراد والتصدير، في حين احتكر اليهود المتجنسون بالجنسية الإيطالية معظم النشاط التجاري، مثل مؤسسة "حسان" ونونس فيس وناحوم لابي وحنونه، أما المؤسسات الإيطالية غير اليهودية فكانت تخص جونيو بيسي-مستورد وميشيلي إخوان- خردوات ووكيل عام للشركات^(٥٠).

أسس بنك روما فرع له في طرابلس الغرب عام ١٩٠٥، من دون موافقة السلطات العثمانية، لتتخذ منه إيطاليا مركز للدعاية السياسية، كما كان مديره "براشياني" سياسي محنك، حيث دأب على القيام بجولات في جميع أرجاء الولاية لبيت الدعاية والإطلاع على ميول السكان، ويبذل خلالها الاموال السخية، فنجح بعقد صداقات مع عدد من الزعماء والأعيان المحليين.

أخذ البنك يتوسع في شراء الأراضي رغم رفض الوالي المشير رجب باشا (١٩٠٤-١٩٠٨)، الذي كان من أشد معارضي التغلغل الإيطالي، لكن النفوذ الإيطالي في اسطنبول كان يرغمه على التراجع، وبالأخص عبر حقي باشا الذي كان يشغل منصب السفير العثماني في روما، ثم

تحول ليحظى بمنصب رئيس الوزراء، اعقب ذلك نجاحه في تأسيس مكتب بريد خاص بالبريد الإيطالي وهو أمر له خطورة كبيرة، إذ كانت المراسلات الخاصة بالإيطاليين وغيرهم من المتعاونين لا تمر عبر الرقابة الحكومية، وفي نهاية المطاف نجحت الضغوط الإيطالية بعزل رجب باشا من منصبه، ليخلفه عدد من الولاة الضعفاء باستثناء إبراهيم أدهم باشا (١٩١٠-١٩١١) (٥١).

واصل البنك نشاطه الأساسي في الإقراض بضمان من أصحاب الاموال فإذا لم يفي المقترض بالدين في الأجل المحدد استولى على العقار أو الأرض محل الضمان؛ وحتى يتوسع البنك في أعمال الاستيلاء هذه كان يقدم القروض لأي شخص يستطيع الحصول على ضمان شخص ثالث من الملاك إذا لم يكن لدى المقترض ملكية خاصة، ولكي تموه إيطاليا على الطبيعة الحقيقية لنشاط البنك، انشأت بعض المؤسسات ذات الطابع الاجتماعي كالمستشفيات والمدارس (٥٢).

كما افتتح فرع للبنك بينغازي في نيسان ١٩٠٧، في احتفال كبير حضره المتصرف مع عدد من كبار الموظفين، ورافق ذلك سعي الإيطاليين للهيمنة على البنية التحتية، عبر الحصول على عطاءات تطوير ميناء طرابلس الغرب ومد خطوط السكك الحديدية الى مناطق الدواخل، الأمر الذي أثار مشاعر السكان، الذين رفعوا مضايقات شعبية الى إسطنبول تحذر وتطالب بضرورة التصدي الحازم والفوري للإطعام الإيطالية المتصاعدة (٥٣).

كان المتوقع أن يحول بنك روما في طرابلس الغرب الى سلاح أساسي للتغلغل الاقتصادي الإيطالي والى مركز نصف شرعي لنشاط الاستخبارات الذي كان عليه أن يحل محل نظام التجسس السابق، وكان رجال الكنيسة الكاثوليكية الذين يملكون حصّة مؤثرة فيه، يسعون الى تعميق نشاطهم التبشيري في الشمال الإفريقي برغم من أن السلطات الإيطالية كانت قد اعلنت عند افتتاحه أنه "مؤسسة تهدف الى تطوير الاقتصاد الليبي".

لكن الحقيقة كانت مختلفة، حيث خضعت اعماله منذ افتتاحه، لإشراف القنصلية الإيطالية ليقوم بنشاطات تجسسية، ومنها تمويل العملاء بالمال والاحتياجات لممارسة نشاطاتهم.

شرع البنك بالتوسع خلال مدة بسيطة، ليفتح وكالات تجارية في ١٢ مدينة بولاية طرابلس الغرب، وأخذ يشتري الاراضي وغيرها من العقارات، كما انشأ مطحنة كبيرة ومصنع لعصر الزيتون ومصنع للورق وكسارة حجر، ثم امتلك محطة توليد الكهرباء الوحيدة في طرابلس الغرب ومصنع للصابون ومنشآت تصنيع ريش النعام وما شابه ذلك، وبواسطة المساعدات الحكومية افتتح خطين ملاحيين يربطان بين موانئ طرابلس الغرب، ودرنة، ومالطا، وجنوة، وباليرمو، وحتى اسطنبول (٥٤).

ولعل تتبع جزء من نشاط هذا البنك يوضح مدى الهيمنة الاقتصادية التي استطاع أن يحققها، خلال ٦ أعوام، بحيث تسلل الى كافة الأنشطة الاقتصادية، وعلى النحو التالي:

النشاط الصناعي: تأسست في كانون الاول ١٩٠٧ منشأة الزيوت الإيطالية بطرابلس الغرب ثم بعد ذلك في كل من الخمس، مسلاتة، زليطن، وفي آذار ١٩١٠ افتتح في طرابلس الغرب مصنع لعصر الزيوت يملكه ايطالي ممولا من البنك، كما افتتح في ١٦/٨/١٩١٠ مطحنة كبيرة للغلال بمساهمة من البنك، كما أقام مصنع للتلج ومطبعة وعدد من المشروعات الأخرى، كذلك كان من اهدافه التنقيب عن المعادن في الولاية واستغلالها كالفوسفات والكبريت، فأرسل بعثة للتنقيب الجيولوجي، أكدت وجود المعادن وإمكانية استغلالها في المستقبل.

النشاط الزراعي: نجح البنك بشراء آلاف الهكتارات من الاراضي الزراعية في ضواحي بنغازي وقام بتوزيع نحو ١٥٠٠٠ رأس ماشية على بعض القبائل بأسلوب المناصفة (أي زراعة الأرض وتربية الحيوانات ثم اقتسام العائد معه).

النشاط التجاري: استفاد من تمويل الحكومة الإيطالية له فقام بتسيير خطوط ملاحية بين موانئ طرابلس الغرب وبنغازي وطبرق وربطها بموانئ مالطا، وجنوة، وباليرمو، واسطنبول، كما مارس عملية من القروض التجارية مقابل الرهون لصغار التجار بفوائد مرتفعة ضمن مخطط لإفقار المتعاملين معه من السكان.

كان للنجاح الذي احرزه البنك صداه في الجرائد الايطالية إذ نشرت جريدة " البعث " مقالة تصف فيها تنوع وسعة أنشطة البنك مشيدة به، فذكرت " ان صناعاته عديدة، ومغازله، ومحاجر مواد البناء التابعة له، وبأكثر اهمية تجارة الحلفا والحبوب والإسفنج، وريش النعام والعاج، والصوف، والمطحن الكهربائي، وميكنة صناعة عصر الزيتون، إنها أعمال عظيمة لبنك يحمل اسم ايطاليا" (٥٥) .

الخاتمة.

مع نجاح ايطاليا في اكمال وحدتها السياسية إبان العقد السابع من القرن التاسع عشر، كانت الدول الأوروبية الأخرى قد قطعت شوط طويل في مضمار التوسع الاستعماري، كما واجهت مشاكل ومصاعب اقتصادية واجتماعية بسبب قلة الموارد والزيادة السكانية، لذا كان لابد من التوسع الخارجي، لكن ضاعت الفرصة في تونس عام ١٨٨١، فتوجه اهتمامها نحو طرابلس الغرب آخر الولايات العثمانية في افريقيا.

خضعت طرابلس الغرب مباشرة لحكم اسطنبول، ومع الرفض الأوروبي لأية مغامرة عسكرية ايطالية بهذا الصدد، كان لابد من اللجوء لأساليب التغلغل السلمي، متبعة في ذلك الانماط السائدة في تلك المرحلة التاريخية، مع الأخذ بنظر الاعتبار تركيبة المجتمع الطرابلسي وسماته الدينية والاقتصادية والاجتماعية، أي العمل من دون إثارة مشاعر السكان أو انتباه السلطات العثمانية للنوايا الحقيقية للتحركات الايطالية،

بدأ الساسة الايطاليون يتبنون المشروع في مرحلته السلمية، ويبرز بهذا الخصوص رئيس الوزراء جوليتي، بسبب حماسته، وطول مدة توليه للمنصب، فشرع بتهيئة الرأي العام لدعم وسائل التغلغل السلمي، ساعده في ذلك تهالك الادارة العثمانية وتأخرها في كافة المجالات، مقارنة بإيطاليا الدولة الأوروبية الفتية.

سرعان ما أخذ المستكشفون الايطاليون بالتوافد، لجمع المعلومات عن طرابلس الغرب، من أجل الاستفادة منها بالمستقبل، فتوفرت لدى صنّاع القرار صورة متكاملة عن الولاية وسكانها، وهي معلومات ثمينة للغاية، اسهمت في زيادة الزخم للتغلغل السلمي.

ليعقب ذلك ورود المبشرين، الذين وجدوا الفرصة متاحة لعملهم، في المجال الاجتماعي، بسبب النقص الكبير في قطاع التعليم والصحة، كما ساعدتهم خلفيتهم وتجاربهم المتقدمة في هذا السياق، التي تحظى بالدعم الحكومي الوافر، وهي صيغ متطورة للغاية إذا ما قورنت بأساليب الإدارة العثمانية المتهالكة، فسرعان ما أخذت اللغة والثقافة الايطالية بالانتشار، وبخاصة في صفوف الطبقة العليا ، نتيجة للاحتكاك المستمر مع أفراد الجالية الايطالية الذين كانوا فاعلين في كافة جوانب المجتمع الطرابلسي.

في الختام شكل البعد الاقتصادي المحور الأهم للتغلغل الايطالي في طرابلس الغرب، إذ كان السبب الاساسي لبداية المشروع برمته، حيث سعت السلطات الايطالية للاستكشاف، ثم الهيمنة على جميع النشاطات الاقتصادية والبنية التحتية المتصلة بها من موانئ وسكك حديد... الخ، كذلك استعانت بمؤسسة مالية تملك الخبرة اللازمة بهذا المضمار، ممثلة ببنك روما، الذي دخل الولاية عام ١٩٠٥، من أجل تحقيق غايات محددة، حيث شرع وبدعم كامل من الحكومة الايطالية بالتغلغل والاستحواذ على جميع أوجه النشاط الاقتصادي، مشكلاً عنصراً ضغط على صانعي القرار في إيطاليا، ما منح المشروع الاستعماري صيغته النهائية.

قائمة الهوامش.

١. الطاهر أحمد الزاوي الطرابلسي، جهاد الابطال في طرابلس الغرب، ط١، القاهرة، دار احياء الكتب العربية (عيسى البابي الحلبي وشركاؤه)، ١٩٥٠، ص ١ .
٢. نيكولاي إيليتش بروشين، تاريخ ليبيا منذ منتصف القرن السادس عشر حتى مطلع القرن العشرين، ط٢، ترجمة د. عماد حاتم، بيروت، دار الكتاب الجديد المتحدة، كانون الثاني ٢٠٠١، ص ٣٨٣ .
٣. للتفاصيل ينظر: إتوري روسي، ليبيا منذ الفتح العربي حتى سنة ١٩١١، ط١، تعريب وتقديم خليفة محمد التليسي، بيروت، دار الثقافة، ١٩٧٤، ص ٣٩٢-٣٩٥ .
٤. مصطفى عبدالله بعيو، المجمل في تاريخ ليبيا من اقدم العصور الى العصر الحاضر، الاسكندرية، مطبعة رمسيس، ١٩٤٧، ص ١٠٩-١١٢ . للإطلاع على نص معاهدة باردو ينظر: عزيز سامح، الاتراك العثمانيون في افريقيا الشمالية، ط١، ترجمة عبد السلام أدهم، بيروت، دار لبنان للطباعة والنشر، ١٩٦٩، ص ٣٧-٤٣٩ .
٥. خليفة محمد التليسي، معجم معارك الجهاد في ليبيا ١٩١١-١٩٣١، الدار العربية للكتاب، ١٩٨٣، ص ١٩-٢٠ .
٦. محمد مسعود فشيكة، رمضان السويطي، ط١، طرابلس - ليبيا، دار الفرجاني، ١٩٧٤، ص ٥٠ . كانت وجهة النظر هذه صائبة، حيث دعم الموقف الاوروبي المشروع الاستعماري الايطالي. للتفاصيل ينظر: د. هنري انيس ميخائيل، العلاقات الانجليزية الليبية، الهيئة المصرية للتأليف والنشر، المطبعة الثقافية، ١٩٧٠، ص ١٥-١٩ .
٧. د. المولدي الأحمر، الجذور الاجتماعية للدولة الحديثة في ليبيا(الفرد والمجموعة والبناء الزعامي للظاهرة السياسية)، ط١، بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية، سلسلة أطروحات الدكتوراه (٧٨)، اكتوبر ٢٠٠٩، ص ٣٠٦ .
٨. د. علي عبد اللطيف احميدة، الاصوات المهمشة (الخضوع والعصيان في ليبيا أثناء الاستعمار وبعده)، ط١، بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية، تموز ٢٠٠٩، ص ٣٣-٣٥ ..
٩. نجاح العثمانيون في القضاء على تمرد اولاد سليمان وقتل زعيمهم عبد الجليل سيف النصر عام ١٨٤٢، لكن الأمور لم تستتب إلا عقب قتل زعيم المحاميد غومة المحمودي عام ١٨٥٨. للتفاصيل ينظر: إتوري روسي، المصدر السابق، ص ٣٦٠-٣٧١ .
٩. جمال حمدان، الجماهيرية العربية الليبية الشعبية الاشتراكية العظمى (دراسة في الجغرافيا السياسية)، القاهرة، مكتبة مدبولي، ١٩٩٦، ص ٣٢-٣٣ .
١٠. د. محمود حسن صالح منسي، الحملة الايطالية على ليبيا(دراسة وثائقية في استراتيجية الاستعمار والعلاقات الدولية)، القاهرة، دار الطباعة الحديثة، ١٩٨٠، ص ٤-٥ .
١١. نجم الدين غالب الكيب، مدينة طرابلس عبر التاريخ، ط٢، ليبيا- تونس، الدار العربية للكتاب، ١٩٧٨، ص ١٠٤ .
١٢. د. محمود علي عامر، د. محمد خير فارس، تاريخ المغرب العربي الحديث(المغرب الأقصى- ليبيا)، جامعة دمشق، مديرية الكتب الجامعية، د.ت، ص ٢٤٤-٢٤٦. للتفاصيل عن الولاية العثمانيين للمدة (آيار ١٨٣٥- تشرين الثاني ١٨٨١) ينظر: الطاهر أحمد الزاوي، ولاية طرابلس الغرب من بداية الفتح العربي الى نهاية العهد التركي، ط١، دار الفتح للطباعة والنشر- بيروت والسيد محمد الرماح بشينه- ليبيا، ١٩٧٠، ص ٢١٧-٢٧٢ .
١٣. عمار جحيدر، آفاق ووثائق في تاريخ ليبيا الحديث، ليبيا- تونس، الدار العربية للكتاب، د.ت، ص ٤٢ .

١٤. د. نقولا زياده، محاضرات في تاريخ ليبيا (من الاستعمار الايطالي الى الاستقلال)، جامعة الدول العربية، معهد الدراسات العربية العالية، ١٩٥٨، ص ٥٤ .
١٥. انتوني جوزيف كاكيا ، ليبيا في العهد العثماني الثاني (١٨٣٥-١٩١١) ، عربيه عن الانكليزية يوسف حسن العسلي ، القاهرة ، دار إحياء الكتب العربية (عيسى البابي الحلبي) ، ١٩٤٦، ص ٨٧ .
١٦. عبد المنصف حافظ البوري، الغزو الايطالي لليبيا، ط١، الكويت، شركة كاظمة للنشر والتوزيع، ١٩٨٣، ص ٢٩-٣٠ .
١٧. ز.ب. ياخيموفتش، الحرب التركية- الايطالية ١٩١١-١٩١٢، ط١، ترجمة د.هاشم صالح التكريتي، بيروت، ١٩٧٠، ص ٣٥-٣٦ . للتفاصيل ينظر: مصطفى عبدالله بعيو، المصدر السابق، ص ١١٢-١١٥ .
١٨. نيكولاي إيليتش بروشين، المصدر السابق، ص ٣٨٤ .
١٩. خليفة محمد التليسي، المصدر السابق، ص ٢٠-٢١. للتفاصيل عن النشاط الدبلوماسي الايطالي ينظر: د.محمود حسن صالح منسي ، المصدر السابق، ص ٢٧-٣٣ .
٢٠. د. أحمد صدقي الدجاني، ليبيا قبل الاحتلال الإيطالي ط١، القاهرة، المطبعة الفنية الحديثة، ١٩٧١، ص ٣٢٦-٣٢٧ . لقد أجمعت النخبة السياسية الايطالية على دعم التوجه الاستعماري، مع وجود بعض الاستثناءات من أقصى اليسار، لكن ظروفها لم تحظى بتأثير تذكر. للتفاصيل ينظر: عبد المنصف حافظ البوري، المصدر السابق، ص ١٥٣-١٧٦ .
٢١. عبد المنصف حافظ البوري، المصدر السابق، ص ٨٤-٨٩ .
٢٢. الطاهر أحمد الزاوي الطرابلسي، المصدر السابق، ص ٣-٤ .
٢٣. د. أحمد صدقي الدجاني، المصدر السابق، ص ٣٣٨-٣٤٠ . إن تداعي حكم الدولة العثمانية في طرابلس الغرب كان من اهم الاسباب التي شجعت ايطاليا للمضي في مشروعها الاستعماري. للتفاصيل ينظر: عبد المنصف حافظ البوري، المصدر السابق، ص ٩٢-١٠٣ .
٢٤. محمد مصطفى بازامه، العدوان أو الحرب بين ايطاليا وتركيا في ليبيا، ج١، ط١، طرابلس-ليبيا، منشورات مكتبة الفرجاني، ١٩٦٥، ص ١٥-١٦ .
٢٥. عبد المنصف حافظ البوري المصدر السابق، ص ١٣٨-١٤٠ . للتفاصيل عن أحوال الجاليات الاجنبية ينظر: انتوني جوزيف كاكيا، المصدر السابق، ص ١١١-١١٤ .
٢٦. محمد مصطفى بازامه، المصدر السابق، ص ٢٧ .
٢٧. خليفة عبد المجيد المنتصر، ليبيا قبل المحنة وبعدها، طرابلس ، سلسلة الكتاب الليبي، ١٩٦٣، ص ٤٤ .
٢٨. مصطفى عبدالله بعيو، المصدر السابق، ص ١١٨ .
٢٩. د. أحمد صدقي الدجاني، المصدر السابق، ص ٢٩٥-٢٩٦ .
٣٠. إتوري روسي، المصدر السابق، ص ٣٩٥ .
٣١. شارل فيرو، الحوليات الليبية منذ الفتح العربي حتى الغزو الإيطالي، ط٢، ترجمة د. محمد عبد الكريم الوافي ، طرابلس ، ١٩٨٣ ، ص ٧٤٧-٧٤٨ .
٣٢. فرانيسكو كورو، ليبيا اثناء العهد العثماني الثاني، ط٢، تعريب وتقديم خليفة محمد التليسي، الجماهيرية العربية الليبية الشعبية الاشتراكية، طرابلس، المنشأة العامة للنشر والتوزيع والإعلان، ١٩٨٤، ص ١٤٥-١٤٩ .
٣٣. ز.ب. ياخيموفتش، المصدر السابق، ص ٦٢ . للتفاصيل ينظر: خليفة محمد التليسي، حكاية مدينة (طرابلس لدى الرحالة العرب والأجانب)، ط٣، طرابلس الغرب، الدار الجماهيرية للنشر والتوزيع والإعلان، ١٩٩٦، ص ١٧٦-٢٣٤؛ غوليالم ناردوتشي، استيطان برقة قديماً وحديثاً، ط١، ترجمة وتقديم د. ابراهيم احمد المهدي، طرابلس، الدار الجماهيرية للنشر والتوزيع والإعلان، ١٩٩٦، ص ٢١١-٢١٦ .
٣٤. عبد المنصف حافظ البوري المصدر السابق، ص ٢٦٠ .

٣٥. ز.ب. ياخيموفتش، المصدر السابق، ص ٥٠ .
٣٦. عبد المنصف حافظ البوري المصدر السابق، ص ٢٦٢-٢٦٣ .
٣٧. د.محمود حسن صالح منسي ، المصدر السابق، ص ٣٤ .
٣٨. عبد المنصف حافظ البوري، المصدر السابق، ص ٢٦٤-٢٦٧ .
٣٩. د. أحمد صدقي الدجاني، المصدر السابق، ص ١٢٤ .
٤٠. المصدر نفسه، ص ٢٧٦ .
٤١. فرانثسكو كورو، المصدر السابق، ص ١٠١-١٠٢ .
٤٢. الطاهر أحمد الزاوي الطرابلسي، المصدر السابق، ص ١٢ .
٤٣. عبد المنصف حافظ البوري، المصدر السابق، ص ٢٦٧ .
٤٤. فرانثسكو كورو، المصدر السابق، ص ١٢٧-١٢٩ .
٤٥. الطاهر أحمد الزاوي الطرابلسي، المصدر السابق، ص ١٣ .
٤٦. عبد العزيز سعيد الصويغي، بدايات الصحافة الليبية ١٨٦٦-١٩٢٢، ط١، مصراتة، الجماهيرية العظمى، ١٩٨٩، ص ١٤٥-١٤٩ .
٤٧. ز.ب. ياخيموفتش، المصدر السابق، ص ٣٢-٣٩ . للتفاصيل عن الاحوال الاقتصادية والاجتماعية في ايطاليا ينظر: عبد المنصف حافظ البوري، المصدر السابق، ص ٤٧-٨٦ .
٤٨. تأسس في مدينة روما عام ١٨٨٠، بمبادرة من بعض أثريائها حيث حافظ على التقاليد البنكية الأوروبية إضافة إلى حرفية مهنية عالمية، و في عقود قليلة افتتح البنك فروعاً له في كافة أنحاء إيطاليا، كما كان أول بنك إيطالي يفتتح فروعاً له خارج الأراضي الإيطالية في المدة (١٩٠١ - ١٩١٤). <https://ar.wikipedia.org/wiki/>
٤٩. عبد المنصف حافظ البوري المصدر السابق، ص ٢٦٧-٢٦٩ .
٥٠. انتوني جوزيف كاكيا، المصدر السابق، ص ١١٣ . للتفاصيل عن النشاط الاقتصادي في ولاية طرابلس الغرب ينظر : محمود ناجي، تاريخ طرابلس الغرب، ترجمة عبد السلام أدهم، محمد الأسطى، بنغازي، منشورات الجامعة الليبية، كلية الآداب، ١٩٧٠، ص ٣٣-٧٧ .
٥١. الطاهر أحمد الزاوي الطرابلسي، المصدر السابق، ص ٧-١١ . للتفاصيل ينظر : د. أحمد صدقي الدجاني، المصدر السابق، ص ١٦١-١٨٦ .
٥٢. د.صلاح العقاد، ليبيا المعاصرة، جامعة الدول العربية، معهد البحوث والدراسات العربية، القاهرة، ١٩٧٠، ص ١٢ .
٥٣. د.محمود حسن صالح منسي ، المصدر السابق، ص ٥٣ .
٥٤. ن.إ.بروشين، تاريخ ليبيا من نهاية القرن التاسع عشر حتى عام ١٩٦٩، ط٢، ترجمة د.عماد حاتم، بيروت، دار الكتاب الجديد المتحدة، كانون الثاني ٢٠٠١، ص ١٠٥-١٠٦ .
٥٥. عبد المنصف حافظ البوري، المصدر السابق، ص ٢٧١-٢٧٢ .

قائمة المصادر.

أ.الكتب العربية والمعربة

١. إتوري روسي، ليبيا منذ الفتح العربي حتى سنة ١٩١١، ط١، تعريب وتقديم خليفة محمد التليسي، بيروت، دار الثقافة، ١٩٧٤ .
٢. د. أحمد صدقي الدجاني، ليبيا قبل الاحتلال الإيطالي ط١، القاهرة، المطبعة الفنية الحديثة، ١٩٧١ .
٣. الطاهر أحمد الزاوي الطرابلسي، جهاد الأبطال في طرابلس الغرب، ط١، القاهرة، دار احياء الكتب العربية (عيسى البابي الحلبي وشركاؤه)، ١٩٥٠ .
٤. -----، ولاية طرابلس الغرب من بداية الفتح العربي الى نهاية العهد التركي، ط١، دار الفتح للطباعة والنشر- بيروت والسيد محمد الرماح بشينه- ليبيا، ١٩٧٠ .
٥. د. المولدي الأحمر، الجذور الاجتماعية للدولة الحديثة في ليبيا(الفرد والمجموعة والبناء الزعامي للظاهرة السياسية)، ط١، بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية، سلسلة أطروحات الدكتوراه(٧٨)، أكتوبر ٢٠٠٩ .
٦. انتوني جوزيف كاكيا، ليبيا في العهد العثماني الثاني (١٨٣٥-١٩١١)، عربيه عن الانكليزية يوسف حسن العسلي، القاهرة، دار إحياء الكتب العربية (عيسى البابي الحلبي)، ١٩٤٦ .
٧. جمال حمدان، الجماهيرية العربية الليبية الشعبية الاشتراكية العظمى (دراسة في الجغرافيا السياسية)، القاهرة، مكتبة مدبولي، ١٩٩٦ .
٨. خليفة محمد التليسي، حكاية مدينة (طرابلس لدى الرحالة العرب والأجانب)، ط٣، طرابلس الغرب، الدار الجماهيرية للنشر والتوزيع والإعلان، ١٩٩٦ .
٩. -----، معجم معارك الجهاد في ليبيا ١٩١١-١٩٣١، الدار العربية للكتاب، ١٩٨٣ .
١٠. خليفة عبد المجيد المنتصر، ليبيا قبل المحنة وبعدها، طرابلس، سلسلة الكتاب الليبي، ١٩٦٣ .
١١. ز.ب. ياخيموفتش، الحرب التركية- الايطالية ١٩١١-١٩١٢، ط١، ترجمة د.هاشم صالح التكريتي، بيروت، ١٩٧٠ .
١٢. شارل فيرو، الحوليات الليبية منذ الفتح العربي حتى الغزو الإيطالي، ط٢، ترجمة د. محمد عبد الكريم الوافي، طرابلس، ١٩٨٣ .
١٣. د.صلاح العقاد، ليبيا المعاصرة، جامعة الدول العربية، معهد البحوث والدراسات العربية، القاهرة، ١٩٧٠ .
١٤. عبد العزيز سعيد الصويغي، بدايات الصحافة الليبية ١٨٦٦-١٩٢٢، ط١، مصراتة، الجماهيرية العظمى، ١٩٨٩ .
١٥. عبد المنصف حافظ البوري، الغزو الايطالي لليبيا، ط١، الكويت، شركة كاظمة للنشر والتوزيع، ١٩٨٣ .
١٦. عزيز سامح، الأتراك العثمانيون في إفريقيا الشمالية، ط١، ترجمة عبد السلام أدهم، بيروت، دار لبنان للطباعة والنشر، ١٩٦٩ .
١٧. د.علي عبد اللطيف حميدة، الأصوات المهمشة (الخضوع والعصيان في ليبيا أثناء الاستعمار وبعده)، ط١، بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية، تموز ٢٠٠٩ .
١٨. عمار جحيدر، آفاق ووثائق في تاريخ ليبيا الحديث، ليبيا-تونس، الدار العربية للكتاب، د.ب.ت .
١٩. غوليالم ناردوتشي، استيطان برقة قديماً وحديثاً، ط١، ترجمة وتقديم د. إبراهيم احمد المهدي، طرابلس، الدار الجماهيرية للنشر والتوزيع والإعلان، ١٩٩٦ .

٢٠. فرانشسكو كورو، ليبيا أثناء العهد العثماني الثاني، ط٢، تعريب وتقديم خليفة محمد التليسي، الجماهيرية العربية الليبية الشعبية الاشتراكية، طرابلس، المنشأة العامة للنشر والتوزيع والأعلان، ١٩٨٤ .
٢١. محمد مسعود فشيكة، رمضان السويحلي، ط١، طرابلس - ليبيا، دار الفرجاني، ١٩٧٤ .
٢٢. محمد مصطفى بازامه، العدوان أو الحرب بين ايطاليا وتركيا في ليبيا، ج١، ط١، طرابلس- ليبيا، منشورات مكتبة الفرجاني، ١٩٦٥ .
٢٣. د.محمود حسن صالح منسي، الحملة الايطالية على ليبيا(دراسة وثائقية في إستراتيجية الاستعمار والعلاقات الدولية)، القاهرة، دار الطباعة الحديثة ، ١٩٨٠ .
٢٤. د.محمود علي عامر، د. محمد خير فارس، تاريخ المغرب العربي الحديث (المغرب الأقصى- ليبيا)، جامعة دمشق، مديرية الكتب الجامعية، د.ب .
٢٥. محمود ناجي، تاريخ طرابلس الغرب، ترجمة عبد السلام أدهم، محمد الأسطى، بنغازي، منشورات الجامعة الليبية، كلية الآداب، ١٩٧٠ .
٢٦. مصطفى عبدالله بعيو، المجلد في تاريخ ليبيا من أقدم العصور إلى العصر الحاضر، الإسكندرية، مطبعة رمسيس، ١٩٤٧ .
٢٧. ن.إ.بروشين، تاريخ ليبيا من نهاية القرن التاسع عشر حتى عام ١٩٦٩، ط٢، ترجمة د.عماد حاتم، بيروت، دار الكتاب الجديد المتحدة، كانون الثاني ٢٠٠١ .
٢٨. نجم الدين غالب الكيب، مدينة طرابلس عبر التاريخ، ط٢، ليبيا- تونس، الدار العربية للكتاب، ١٩٧٨ .
٢٩. د. نقولا زياده، محاضرات في تاريخ ليبيا (من الاستعمار الايطالي الى الاستقلال)، جامعة الدول العربية، معهد الدراسات العربية العالية، ١٩٥٨ .
٣٠. نيكولاي إيليتش بروشين، تاريخ ليبيا منذ منتصف القرن السادس عشر حتى مطلع القرن العشرين، ط٢، ترجمة د.عماد حاتم، بيروت، دار الكتاب الجديد المتحدة، كانون الثاني ٢٠٠١ .
٣١. د.هنري أنيس ميخائيل، العلاقات الانجليزية الليبية، الهيئة المصرية للتأليف والنشر، المطبعة الثقافية، ١٩٧٠ .

ب.المواقع الالكترونية

<https://ar.wikipedia.org/wiki>

الملخص.

تجلى التغلغل الاستعماري الأوروبي ببداياته، في الرحلات الجغرافية وفي نشاط القناصل الأوروبيين؛ حيث تم الاعتماد عليها كأساس للتعريف بأفريقيا التي كان وسطها يمثل بقعة مجهولة.

أعتبر دعاة الاستعمار الإيطالي إن منطقة البحر المتوسط بما فيها بلدان الشمال الإفريقي أنها الحيز الطبيعي لتوسعهم، مؤكدين إبان ذلك على أن الاستيلاء على طرابلس الغرب من قبل أي طرف آخر بمثابة تهديد لأمن إيطاليا

بدأ الساسة الإيطاليون يتبنون المشروع في مرحلته السلمية، ويبرز بهذا الخصوص رئيس الوزراء جوليتي، بسبب حماسه، وطول مدة توليه للمنصب، فشرع بتهيئة الرأي العام لدعم وسائل التغلغل السلمي، ساعده في ذلك تهالك الإدارة العثمانية وتأخرها في كافة المجالات، مقارنة بإيطاليا الدولة الأوروبية الفتية.

سرعان ما أخذ المستكشفون الإيطاليون بالتوافد، لجمع المعلومات عن طرابلس الغرب، من أجل الاستفادة منها بالمستقبل، فتوفرت لدى صنّاع القرار صورة متكاملة عن الولاية وسكانها، وهي معلومات ثمينة للغاية، أسهمت في زيادة الزخم للتغلغل السلمي.

ليعقب ذلك ورود المبشرين، الذين وجدوا الفرصة متاحة لعملهم، في المجال الاجتماعي، بسبب النقص الكبير في قطاع التعليم والصحة، كما ساعدتهم خلفيتهم وتجاربهم المتقدمة في هذا السياق، التي تحظى بالدعم الحكومي الوافر، وهي صيغ متطورة للغاية إذا ما قورنت بأساليب الإدارة العثمانية المتهالكة، فسرعان ما أخذت اللغة والثقافة الإيطالية بالانتشار، وبخاصة في صفوف الطبقة العليا، نتيجة للاحتكاك المستمر مع أفراد الجالية الإيطالية الذين كانوا فاعلين في كافة جوانب المجتمع الطرابلسي.

في الختام شكل البعد الاقتصادي المحور الأهم للتغلغل الإيطالي في طرابلس الغرب، إذ كان السبب الأساسي لبداية المشروع برمته، حيث سعت السلطات الإيطالية للاستكشاف، ثم الهيمنة على جميع النشاطات الاقتصادية والبنية التحتية المتصلة بها من موانئ وسكك حديد... الخ، كذلك استعانت بمؤسسة مالية تملك الخبرة اللازمة بهذا المضمار، ممثلة ببنك روما، الذي دخل الولاية عام ١٩٠٥، من أجل تحقيق غايات محددة، حيث شرع وبدعم كامل من الحكومة الإيطالية بالتغلغل والاستحواذ على جميع أوجه النشاط الاقتصادي، مشكلاً عنصراً ضغط على صانعي القرار في إيطاليا، ما منح المشروع الاستعماري صيغته النهائية.